

# THE RHETORIC OF BREVITY IN THE QURANIC STORY - THE STORY OF MOSES WITH PHARAOH AS A MODEL -

LOUNNAS NASSIRA<sup>1</sup>

<sup>1</sup>Professor of Lecturer A, University of M'hamed Bougara boumerdes, affiliation informant:  
TECHLANG (Algeria).

The E-mail Author: [n.lounnas@univ-boumerdes.dz](mailto:n.lounnas@univ-boumerdes.dz)

Received: 06/2023 Published: 02/2024

## Abstract:

The graphic miracle has many faces that reflect aspects of the miracle in the Quranic system. Starting with the sound and ending with vocabulary and structures, we have chosen to search in a feature of that miraculousness, which is related to brevity. And if this method is embodied in different places in the Quran, the Quranic story reflects it clearly, so we chose in this study the topic of brevity in the Quranic story, specifically in the story of Moses with Pharaoh, by virtue of that it is one of the most mentioned stories in the Quran due to considerations, and its consequences. This is due to the difference in the methods of presentation, which ranged between redundancy and brevity.

Accordingly, we will try, through this study, to present the rhetoric of brevity in the story of Moses with Pharaoh, in order to answer the following questions: What are the manifestations of brevity in the narrative discourse of the Quran, specifically in the story of Moses with Pharaoh? How did it contribute to building the Quranic story and defining its miraculous dimensions?

**Keywords:** Brevity; miraculousness; Quranic story; The story of Moses with Pharaoh.

بلاغة الإيجاز في القصة القرآنية - قصة موسى مع فرعون أنموذجا -

د. الوناس نصيرة<sup>1</sup>

<sup>1</sup>أستاذ محاضر أ، جامعة محمد بوقرة بومرداس، مخبر الانتماء: TECHLANG (الجزائر).

ملخص:

للإعجاز البياني وجوه كثيرة تعكس جوانب الإعجاز في النظم القرآني؛ بدءا بالصوت وصولا إلى المفردات والتراكيب، وقد آثرنا البحث في ملمح من ملامح ذلك الإعجاز، هو ما يتعلق بالإيجاز. وإذا كان هذا الأسلوب يتجسد في مواضع مختلفة من السور، فإن القصة القرآنية تعكسه بشكل جلي، لذلك وقع اختيارنا في هذه الدراسة على موضوع الإيجاز في القصة القرآنية، وتحديدًا في قصة موسى مع فرعون، بحكم أنّها من أكثر القصص ورودا في القرآن لاعتبارات، وما استتبعه ذلك من اختلاف في طرائق عرضها، التي تراوحت بين البسط والإيجاز.

وعليه سنحاول من خلال هذه الدراسة عرض بلاغة الإيجاز في قصّة موسى مع فرعون، سعيًا منّا إلى الإجابة عن الإشكال التالي: ما هي مظاهر الإيجاز في الخطاب القصصي القرآني وتحديدًا في قصّة موسى مع فرعون؟ وكيف أسهمت في بناء القصّة القرآنيّة وتحديد أبعادها الإعجازيّة؟

**الكلمات المفتاحية:** الإيجاز، الإعجاز، القصّة القرآنيّة، قصة موسى مع فرعون.

## مقدمة:

القرآن الكريم كتاب معجز في جميع مستوياته الشكليّة والمضمونيّة، ممّا جعله محلّ اهتمام كثير من الدارسين على مرّ العصور، بغية اكتشاف وجوه إعجازه. وفي هذا الإطار تعدّ القصّة القرآنيّة ملمحًا من ملامح ذلك الإعجاز؛ فالمتدبّر للقرآن الكريم يرى أنّه اعتمد على أسلوب القصّ بشكل بارز؛ إذ تحتلّ القصص الجزء الأكبر منه. وبالنظر إلى تلك الأهميّة التي حظيت بها؛ فهي ليست مجرد عرض لما كانت عليه الأمم الماضية، والأنبياء السابقين فحسب، إنّما هي عبر وعظات مستفادة بما تحمله من قيم دينيّة، وأخلاقية، وتربويّة، مهذبّة للسلوك، مقوّمّة له، معالجة للنفوس العليّة. وإذا كانت القصّة القرآنيّة بتلك المكانة الهامّة فلا غرابة إذن أن نراها تميّز من حيث أسلوب العرض، وسرد الأحداث، وتقديم الشخصيات، وتحديد معالم الزمان والمكان.... الخ.

ومع تعدّد مواضع تكرار القصّة الواحدة في القرآن الكريم، فقد استتبع ذلك تعدّد في أساليب عرضها، التي تراوحت بين إطناب وإيجاز، وإن كان الإيجاز هو السمة الغالبة في عمليّة القصّ وسرد الأحداث، بحكم ارتباطه بتحقيق أغراض ومقاصد دينيّة معيّنة، لا تخرج عن إطار العقيدة الإسلاميّة.

وعليه يعدّ الإيجاز ملمحًا من ملامح الإعجاز البيانيّ للقصّة القرآنيّة؛ فقد قصّ علينا القرآن أحسن القصص لأنبيائه ورسله مع أقوامهم بعرض موجز ومعجز معًا، يتجاوز الإطناب المملّ، والإيجاز المخلّ، ممّا له ارتباط وثيق بمقاصد الشريعة. ولعلّه أسلوب يتكشّف لنا بشكل جليّ في القصص القرآنيّة التي تكرّرت في مواضع مختلفة، على غرار قصّة موسى عليه السّلام، التي تعدّ من أكثر القصص تكرارًا في القرآن، ومع تعدّد مواضع ذكرها، تعدّدت طرائق صوغها، بين ذكر وحذف لمشاهدها، فكان أن شكّل الإيجاز في القصّة القرآنيّة موضوعًا جديدًا بالبحث والتقصّي.

انطلاقًا من هذه المعطيات تهدف هذه الدراسة إلى التعرّف على أساليب عرض القصص القرآنيّ، وكذا الكشف عن وجه من وجوه الإعجاز البياني لها المرتبط طبعًا بالإيجاز. وللبحث في هذا الموضوع وتقصّي جوانبه ورّع متن الدراسة على عناصر مختلفة، اعتمدنا في عرضها على آليّ الوصف والتحليل، لبسط المعطيات النظريّة والمفاهيم، واستقصاء ما جاء في قصّة موسى عليه السّلام من أساليب الإيجاز.

## 1- في مفهوم الإعجاز والإيجاز

### 1-1- في مفهوم الإعجاز

#### 1-1-1- تعريف الإعجاز

القرآن الكريم معجزة النبي محمد عليه السلام الخالدة، المختلفة عن غيرها من معجزات الأنبياء الذين سبقوه والتي ظهرت في وقتها فكان عمرها عمر ذلك الزمن الذي ظهرت فيه، على خلاف إعجاز القرآن الذي لا يحده زمان ولا مكان، فهو صفة ملازمة له.

الإعجاز واحد من العلوم الدينية التي شغلت العقول على مرّ العصور، والذي انصرفت إليه هم العلماء والدارسين، حتى حمل بعضهم على القول بوجوب الاشتغال به وبجته عرضاً وتحليلاً، فهذا "الباقلائي" يقرّ بأهمية علمه في قوله: «فهو أحقّ بكثيرٍ ممّا صنّفوا فيه من القول في الجزء ودقيق الكلام في الأغراض وكثير من بديع الإعراب وغامض النحو، فالحاجة إلى هذا أمسّ والاشتغال به أوجب»<sup>1</sup>، كيف لا وهو الحجّة التي يقدّمها القرآن إلى خصومه ليعجزهم بها، أو ما عبّر عنه المفسّرون والدارسون بالتحدي، وهو المطالبة بأن يتوا بكلام مثله؛ لذلك حمل القرآن دعوة التحدي بعد نزوله وعرض سوره وآياته، إلى العرب خاصة، والثقلين عامة، فأظهر الجميع عجزهم.

وقد اجتهد العلماء والدارسون منذ نزول القرآن في تحديد مكامن الإعجاز أو وجوه التحدي والاستدلال عليها؛ من تحدّد على طلب المعارضة بمثله، وطلب الإتيان بعشر سور مثله، فالتحدي بالقصص القرآنيّ من حيث الإخبار بأنبياء الغيب، وتحدّد في أسلوبه ونظمه.... وغيرها من صور التحدي التي عبّر عنها القرآن الكريم. وقد اختزل لنا "ابن تيمية" وجوه إعجاز القرآن في قوله: «هو آية بيّنة معجزة من وجوه متعدّدة: من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي، وعن الغيب المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بيّن فيه من الدلائل اليقينية، والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة»<sup>2</sup>.

وعموماً نقول أنّ الحديث عن الإعجاز القرآنيّ حديث واسع يمتدّ ليشمل جوانب مختلفة؛ كالإعجاز العلميّ، والإعجاز البيانيّ، والإعجاز الغيبيّ، والإعجاز التشريعيّ.

## 1-2-1- مفهوم الإيجاز:

### 1-2-1- تعريف الإيجاز:

قبل الحديث عن مفهوم الإيجاز وأقسامه لا بأس أن نشير في البداية إلى أنّ الإيجاز هو مبحث نحوي بلاغيّ؛ فقد عني به النحويون والبلاغيون على حدّ سواء.

فبالنسبة للنحويين فقد درسوه تحت باب الحذف والإيجاز والاختصار، وقد عقد "سيبويه" في كتابه باباً سماه "استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتّساعهم في الكلام ولالإيجاز والاختصار". وهو عندهم نوع من أنواع التخفيف ولا يتمّ في الكلام إلّا بشروط حدّدها النحاة؛ كأن يكون في النصّ غرض يدعو للحذف بمعونة قرينة تدلّ على العنصر المحذوف، وأن لا يُحدّث الحذف خللاً في المبنى والمعنى....

وعلاوة على شروط الحذف فقد أشار النحاة كذلك إلى أسباب الحذف، نذكر منها: كثرة الاستعمال، وطول الكلام، والضّرورات الشعريّة، والحذف في الإعراب، والحذف الواقع في الحروف لأسباب قياسية أو صرفيّة أو صوتيّة....

أما بالنسبة للإيجاز عند البلاغيين فإنه يعدّ من أهمّ الأساليب التي بني عليها الدّرس البلاغيّ، للحدّ الذي عرّفت فيه البلاغة بالإيجاز، كما أنّه يعدّ مبحثاً من مباحث علم المعاني، وهو مصطلح يقابل مصطلح الإطناب في البلاغة العربية، ويتعلّق فيه الأمر بأداء مقصود المتكلّم مع تقليل اللفظ، بعيداً عن كلّ حشو، أو هذر كما يصطلح عليه العسكري، في قوله: «الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فصل داخل في باب الهذر والخلط»<sup>3</sup>، لأنّه مجرد إطالة للكلام لا تفيدنا، بل فيها مجاوزة لمقدار الحاجة.

وعليه فالإيجاز لا يقتصر على تقليل اللفظ أو اختصار الكلام فحسب، بل لا بدّ من مراعاة جانب آخر يتعلّق بعدم الإخلال بالمعنى.

### 1-2-2-أقسام الإيجاز: ينقسم الإيجاز إلى قسمين اثنين: إيجاز الحذف، وإيجاز القصر.

**أولاً- إيجاز الحذف:** «يكون بحذف شيء من العبارة لا يخلّ بالفهم، مع قرينة تعيّن المحذوف»<sup>4</sup>؛ فالإيجاز بالحذف إذن أن نحذف شيئاً من الجملة دون أن يحتلّ المعنى، لوجود قرينة دالّة على المحذوف. ومن أنواع الإيجاز بالحذف نذكر:

- حذف حرف: مثل همزة الاستفهام، أو حذف الجار والعاطف، وحرف النداء، ولا النافية، وقد...
- حذف الكلمة: مثل المضاف، والمضاف إليه، والاسم الموصول، والصفة، والفاعل، والمفعول...
- حذف الجملة: مثل جملة الشّروط، والقسم، والقول، ومقول القول....

**ثانياً- إيجاز القصر:** هو أعلى طبقات الإيجاز مكاناً، ويكثر في القرآن. عرّفه "العسكري" بأنّه «تقليل اللفظ وتكثير المعاني»<sup>5</sup>، وعلى هذا الأساس يتمّ إيجاز القصر بتضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة، فالعبارة فيه تقليل اللفظ مع ضرورة استيفائه المعنى المطلوب، وهو على ضربين اثنين:

1- التقدير: هو ما ساوى لفظه معناه.

2- القصر: هو ما زاد معناه على لفظه.

وبالنّظر إلى هذين التّوعين فقد عني البلاغيون على غرار "الرجاني" بإيجاز الحذف مبرزاً بلاغته الشّبيهة بالسّحر، وهذا نظراً للصدى الذي يوقعه على قلب السّامع والقارئ.

### 1-3- في مفهوم القصّة القرآنية:

ينظر للقصّة القرآنيّة باعتبارها وجهاً من وجوه الإعجاز القرآنيّ؛ حيث ارتبطت عموماً بالإخبار عن أحوال الأمم السّابقة، ورسالات الأنبياء، وأحوالهم مع أقوامهم، ولا يعني ذلك أنّها مجرد سرد تاريخيّ للوقائع والأحداث، أو مجرد إمتاع للنفوس، لأنّ غايتها إمعان التأمّل والتدبّر وأخذ العبرة قصد الهداية، لذلك نراها تختلف عن القصّة الفنّيّة، كيف لا وهي وحي إلهيّ لا علاقة للبشر في صياغته. وقد أشار "سيد قطب" إلى مكنن الفرق بين القصّة القرآنيّة ونظيرتها الفنّيّة في قوله: «القصّة في القرآن ليست عملاً فنّيّاً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه - كما هو الشّأن في القصّة

الفنية الحرّة، التي ترمي إلى أداء غرضٍ فني طليق - إنّما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية. والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كلّ شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة و تثبيتها»<sup>6</sup>.

وعلى هذا الأساس تعدّ القصة القرآنية من أصدق القصص قيلا، وأنفعها للبشرية، بسلوكها طريق الدّعوة إلى الدّين الحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة، وبما تحمله من عبر وعظات.

لقد شغلت القصة أكبر مساحة في القرآن، لاسيما وأنها جاءت لتقرّر أهدافا كثيرة وغايات عديدة، فكانت بذلك إحدى الوسائل التربويّة والتّعليميّة التي استند إليها القرآن لتمرير رسالته، كما أنّها إحدى الوسائل التي رافقت الإنسان منذ خلقه؛ إذ لا يخفى علينا أنّ القرآن الكريم قصّ علينا قصّة آدم عليه السّلام مع إبليس عند بدء الخليقة، كما قصّ علينا أخبار الأنبياء وأحوالهم مع أقوامهم، ممّا يجعلنا ننظر للقصة على أنّها تمثيل لتاريخ الأمم السّابقة. ومن بين القصص التي سردّها القرآن الكريم بشكل مكثّف ووافى للنظر قصّة نبيّنا موسى عليه السّلام مع فرعون التي وردت في سور عديدة، فكانت بذلك من أكثر القصص تكرارا في القرآن.

## 2-الإيجاز في قصة موسى مع فرعون

نظرا للمواضع المختلفة التي وردت فيها الإشارة لقصة موسى عليه السّلام فإنّ تعقّب تلك المواضع واحدا واحدا يبدو أمرا متعبا يطول عنده الوقوف والتقصّي في هذه الدّراسة، لذلك وقع اختيارنا على ما ورد في بعض السّور فقط من ذكر لمشاهد القصة، على نحو مسهب يضمّ معظم المشاهد التي وردت في مواضع أخرى، ونخصّ بالذكر هنا قصّته عليه السّلام مع فرعون في سورة الأعراف، ويونس، وطه، والشّعراء، والنمل، والقصص.

## 2-1- قصة موسى عليه السّلام مع فرعون

تعتبر قصة موسى عليه السّلام من أكثر القصص ورودا في القرآن، فقد تمّت الإشارة إليها في مئة وستّ وثلاثين موضعا، موزّعة على أربع وثلاثين سورة، منها ثلاث عشرة سورة عرضت لكثير من مشاهدّها. ومع تعدّد مواضع ذكرها فقد اختلفت طرائق عرضها من سورة لأخرى، فتارة تذكر القصة كاملة، وتارة موجزة، وتارة إشارة، وفق الغرض الذي سيقت لأجله، دون أن تتكرّر في السّورة الواحدة، وهذا ضرب من ضروب الإعجاز البيانيّ للقرآن. وعموما لا ينفصل تكرار القصة في القرآن عن غرضين اثنين:<sup>7</sup>

1- غرض فنيّ يتمثّل في تجدّد أسلوبها وإيرادا وتصويرا، إيجازا وإطنابا.

2- غرض نفسيّ بما له من تأثير في النفوس لأنّ المكرّر ينطبع في النّفس.

وعن تعدّد ذكر قصة موسى عليه السّلام في القرآن عن غيره من الأنبياء، يرى "فضل عبّاس" «أنّ السّبب في ذلك راجع ربّما إلى أنّ موسى عليه السّلام أرسل إلى ففتين: فئة طغى عليها التكبّر والطّغيان والتسلّط (فرعون وملؤه)، وأخرى اتّصفت بالتبعية والضعف (بنو إسرائيل)، كما يعود السّبب أيضا إلى الصّراع القائم بين بني إسرائيل مع المسلمين منذ فجر الرّسالة المحمديّة إلى يومنا هذا، يضاف إلى هذا كلّ أنّ القرآن الكريم ذكر موسى عليه السّلام من زوايا مختلفة ولم ينظر إليه من زاوية واحدة، وذلك لما تحمله القصة من دلالات ومواعظ وعبر ودروس تدعم الدعوة المحمديّة»<sup>8</sup>. يضاف

إلى هذا كله أتمها جاءت لتقرّر حقيقة العبودية المطلقة لله وحده دون سواه، وهذا ما تدعو إليه السور المكيّة على وجه العموم. ولعلّ هذا ما يبرّر لنا ورودها في سور مكيّة، على غرار كلّ السور المستشهد بها في هذه الدراسة.

## 2-2-2- مشاهد القصة:

**2-2-1- مشهد ولادة موسى وقذفه في اليم:** نبدأ حديثنا عن قصة موسى عليه السلام مع فرعون منذ ولادته التي كانت في ظروف قاسية، فقد ولد في زمن حكم فرعون، هذه الشخصية المتجبرّة التي ما فتأت تبعث الخوف والرعب في بني إسرائيل، حيث أصدر حكما بقتل كلّ ذكر يولد في عصره مخافة أن يتولى الحكم، وكان ممّا وصفه به القرآن: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4)﴾ (القصص)، ولكن تتغيّر الأحداث فيما بعد ليرسل الله نبيا يخلصهم من ظلم فرعون، إنّه موسى عليه السلام.

تتوالى أحداث قصة موسى بعد ولادته بإلقائه في اليمّ حينما أوحى الله سبحانه وتعالى إلى أمّ موسى<sup>9</sup> في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا حَمَلَتْ عَلَيْهِ فَاقْلَبِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7)﴾ (القصص) فالتقطه آل فرعون وأخذوه إلى زوجته آسيا، التي منعت قتله، ورجبت في أن تتخذه ولدا بعد أن ترجّت فرعون: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9)﴾ (القصص). بعدها تشاء العناية الإلهية أن يردّ الرضيع إلى أمّه بعد عجز المرضعات عن إرضاعه حتى يتحقّق وعد الله لها ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (13)﴾ (القصص)<sup>10</sup>.

**2-2-2- مشهد فتوته وقتله للقبطي:** ما عبّر عنه القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غُفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَانَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (15) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ (16) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ (17)﴾ (القصص) فقد أقرّ موسى عليه السلام بخطئه، وتظهر شخصيته هنا تحديدا شخصية حائفة تترقّب النجاة من بطش القوم الظالمين.

**2-2-3- مشهد تأمر فرعون وملئه عليه:** ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ (18) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (19) وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20)﴾ (القصص).

**2-2-4- مشهد هروبه من مصر إلى مدين:** يصوّر لنا هذا المشهد هروب موسى من مصر إلى مدين بعد قتله لرجل من قوم فرعون ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (21)﴾ (القصص).

**2-2-5- مشهد قدومه مدين وزواجه:** بعدها تصوّر لنا القصة مشهد وروده مدين والتقاءه بالمرأتين، وكيف كان اللقاء سببا في زواجه بإحداهن، وإقامته هناك عشر سنين ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (22) ..... قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيْتُ فَلَا غُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (28)﴾ (القصص)، وخلال هذه السنوات كان الله تعالى يعدّ موسى لمهمة الدعوة.

**2-2-6- مشهد تكليم الله لموسى وتكليفه بمهمة البعث:** في طريق العودة إلى مصر وصل موسى إلى الوادي المقدّس "طوى"؛ حيث رأى فيه نارا فذهب إليها وهناك كلمه ربه، وكلفه بالمهمة التي أعدّه لها، وهو إرساله إلى قوم فاسقين، قوم فرعون وملئه، وأيدّه بمعجزة العصا واليد ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ (31) اسئلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوءِ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (32)﴾ (القصص).

**2-2-7- مشهد تأييد موسى بأخيه هارون:** بعد أن كلف الله تعالى نبيه بمهمة الذهاب إلى فرعون، توجّس موسى خيفة، فقد تذكر أنه قتل منهم نفسا وأنه خرج من بينهم طريدا، فطلب من الله عزّ وجلّ أن يرسل معه أخاه هارون ليعينه على تلك المهمة؛ بحجة أنه أفصح منه لسانا ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (34) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَجَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْعَالِيُونَ (35)﴾ (القصص). فاستجاب له ربه وأرسل معه أخاه هارون إلى فرعون ليلغاه الدعوة<sup>11</sup>.

**2-2-8- مشهد لقاء موسى وفرعون وعرض معجزات النبوة وما كان من تكذيب فرعون وملئه**

نعر على تفصيله في سورة الشعراء، في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28) قَالَ لَعْنِ اتَّخَذَتْ إِمْلًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29) قَالَ أَوْلُو جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ (33) قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34)﴾ (الشعراء).

لقد أتى "موسى" فرعون يدعو للإيمان برسالته فجرى بينهما حوار مفصّل حول الإيمان، والوحدانية، عكس الحقّ والباطل، وبين الإيمان والكفر، وكان تكذيب فرعون ظاهراً، ممّا استدعى من موسى عليه السّلام عرض معجزاته عليه تأييداً له أنّه رسول ربّ العالمين، فما كان من فرعون وملئه إلاّ اتّهامه بالسّحر<sup>12</sup>.

**2-2-9-مشهد تودّد السّحرة لفرعون لنيل الجزاء والقربى:** ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (113) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (114)﴾ (الأعراف). فقد جاء السّحرة فرعون طالبين الأجر إن كانوا هم الغالبين، وقد أكّد لهم فرعون أنّهم مأجورون، بل ووعدهم مع الأجر بالقربى منه<sup>13</sup>.

**2-2-10-مشهد مواجهة موسى للسّحرة وانتصاره عليهم:** بعدما اتّهم موسى بالسّحر جاءه تحدّي السّحرة له ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111) يَا تَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (11)﴾ (الأعراف)، فاجتمع كبار السّحرة لميقات يوم معلوم، وجاءهم موسى بآياته، وإن دلّ هذا فإنّما يدلّ على دعوة موسى ومواجهته لفرعون وتحديده للسّحرة، إنّما صار حديث الناس في بيوتهم ومجالسهم، فهذا المشهد يبيّن لنا نجاح موسى عليه السّلام في نقل دعوته من حوار خاص مع فرعون، إلى دعوة مفتوحة عامة لكلّ النّاس، ثم جيء بالسّحرة وأدواتهم، وجاء موسى وهارون عليهما السّلام، وهو لا يحمل إلاّ عصاه، وبدأت المواجهة بين موسى والسّحرة فألقى السّحرة حبالهم لتصبح ثعابين، ثم ألقى موسى عصاه فتحوّلت إلى ثعبان مبین تلقّف حبالهم وعصيهم<sup>14</sup>، ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (115) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (116) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117)﴾ (الأعراف). وهنا وقعت المعجزة الكبرى، معجزة نصرته الله لنبيه، فعرف السّحرة الحقّ فخرّوا ساجدين لله وأعلنوا إيمانهم بالحقّ ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (118) فَغَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (119) وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (120) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (122)﴾ (الأعراف). فما كان من فرعون إلاّ أن نكل بهم أشدّ تنكيلاً ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبِنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيُنَا أَنَّكُمْ عَادَابًا وَأَنْبَى (71)﴾ (طه).

**2-2-11-مشهد موسى وقومه يدعوهم للشّبات على التّهج القويم:** ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (129)﴾ (الأعراف). إنّ خطاب النبوة، يخاطب به موسى قومه، يدعوهم إلى التوكّل على الله، والصبر أمام جبروت القوم الظالمين، لأنّه ليس لأصحاب الدّعوة إلاّ ملاذ واحد، وإلى الله تنتهي الأمور<sup>15</sup>.

**2-2-12-مشهد فرعون وملئه مأخوذون بعاقبة الكفر، وتضرّعهم لموسى في كشف الرّجز ونكثهم لعهدهم:** ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ (130) فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ

نُصِبَهُمْ سَيِّئَةً يَطِئُوهَا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَئِرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (131) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (132) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (133) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (134) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرَّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْعُودِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ (135) ﴿(الأعراف).

2-2-13-إيحاء الله لموسى أن يسري بعباده ليلا وإرسال فرعون في المدائن لجمع الحشود: صوّر هذا المشهد خروج موسى ومن اتبعه من مصر وملاحقة فرعون وجنوده لهم محاولين قتلهم ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ (52) فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53)﴾ (الشعراء).

2-2-14-مشهد المواجهة في البحر ونجاة موسى ومن اتبعه وغرق فرعون وجنوده: نعر على تفصيله في سورة يونس ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) قَالَ يَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92)﴾؛ إذ بعدما أمر الله موسى بالخروج من مصر، انطلق قاصدا فلسطين، لكن فرعون لحق به ليقتله هو وأتباعه إلى أن وصلوا إلى ساحل البحر، فأمر الله موسى أن يضرب بعصاه البحر فأصبح يابسة، ثم تابع موسى مسيره آمنا. أما فرعون وجنوده فأطبق الله عليهم البحر وأغرقهم جميعا، فكانت هذه هي نهاية الطاغية فرعون. وهذا هو المشهد الأخير من قصة موسى مع فرعون<sup>16</sup>.

### 2-3-الإيجاز في عرض مشاهد القصة:

#### 2-3-1- في سورة الأعراف:

وردت سورة الأعراف بعد سورة الأنعام، لتفصل القول في بيان القرون وذكر المرسلين، وتعداد كثير منهم مما أجمل في الأنعام ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (4) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (5) فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (6) فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (7)﴾ (الأعراف). وقد ذكرت فيها قصة موسى «كالدليل على ما في أول السورة من الإجمال، فإن قصة موسى مشتملة على الأخذ بالبأساء والضراء، ثم الإنعام بالرحاء والسراء، ثم الأخذ بغتة بسبب شدة الوقوف مع الضلال بعد الكشف الشافي، والبيان لما على قلوبهم من الطبع، وما قادت إليه الحظوظ من الفسق»<sup>17</sup>.

بدأت القصة مجملة؛ حيث عرضت بدايتها ونهايتها معا ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (103)﴾، فالآية هنا تصرح بالعرض من سياق القصة في هذا الموضوع.... إنه النظر إلى عاقبة المفسدين.

تستهلّ القصة بمشهد مواجهة فرعون وملئه بالرسالة، وما يرافقها من إيمان بالله ووحيه لرسوله ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (104) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (105)﴾. وهو موضوع الجدل في السورة بين المشركين والنيبي عليه السلام، ثم يعجل بالكشف عن خلاصة استقبالهم لها بالتكذيب والكفر. عرض بعدها لمشهد التحدي بين موسى والسحرة ونهايته سريعاً، وإن كان السياق القرآني قد طوى هنا أمر إجراء فرعون وملئه جمع السحرة من المدائن، وبعد ما كان من انتصار فرعون تأتي القصة لتعرض مشهد التآمر بالإثم، وقد وسّع في عرض المؤامرة، مستتبعا بمشهد موسى مع قومه يوصيهم باحتمال الفتنة والصبر على المحنة، ويعرفهم أنّ العاقبة للمتقين<sup>18</sup>، ثم مشهد فرعون وآله مأخوذين بعاقبة الكفر؛ فقد أصابهم الله تعالى بالجذب، والظوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، فما كان منهم إلا أن يتضرّعوا لموسى أن يدعو ربّه ليكشف عنهم الرجز، وما استتبع ذلك من تماديهم في الكفر ونقض عهدهم، حتى جاءهم أمر الله بالهلاك غرقاً، وقد اختصر السياق القرآني حادث الإغراق ولم يفصّله كما نراه في مواضع أخرى ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (136)؛ فقد أمهلهم الله طويلاً ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر، ولا شك أنّ الحسم السريع هنا أوقع في النفس وأرهب.

وعموماً يمكن أن نستخلص أنّ قصة موسى في الأعراف سبقت بالإندار وعرض عاقبة المكذّبين بآيات الله، ممّا تناسب من حديث عن آيتي العصا واليد، والعذاب بالجذب والظوفان والجراد.... وما كان من خذلان السحرة، ومصراع فرعون وجنوده.

**2-3-2- في سورة يونس:** سورة يونس واقعة بعد الأعراف في القرآن، وقد ذكرت فيها قصة موسى بعدما سبقت الإشارة في بدايات السورة إلى القرون الخالية، وما كان من عاقبة تكذيبهم لرسولهم، ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (13) ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لينظروا كيف تعملون (1)﴾. وعلى العموم فقد جاءت السورة شارحة لما أجمل في الأعراف<sup>19</sup>، لذلك بسطت فيها قصة موسى بدءاً من مرحلة البعث إلى غرق فرعون وجنوده، وقد جمعت في استهلالها بين بداية القصة ونهايتها ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ (75)﴾.

ذكرت في القصة مختلف المشاهد بدءاً بمشهد المواجهة بين موسى وفرعون، إلى مشهد المبارزة بين موسى والسحرة، يليه مشهد خلّو موسى إلى قومه واجتماعه بهم يحثهم على الصبر، ودعائه على فرعون وملئه، وما كان من استجابة الله وإهلاك فرعون وجنوده في اليم. والملاحظ هنا أنّ مشهد الهلاك ورد فيه تفصيل مقارنة بما ورد في الأعراف ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ أَمَنْتُ بِآيَةِ اللَّهِ الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (90) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92)﴾، لأنّ الغرض هنا كما يرى "سيد قطب" يتجلى في نهاية

القصة؛ من أن «سنة الله التي مضت في الأولين ماضية في الآخرين: عذاب وهلاك للمكذّبين، ونجاة وخلص للرسول ومن معهم من المؤمنين»<sup>20</sup>.

وهكذا يتناسب عرض مصارع المكذّبين في بداية السورة مع ما ورد من ذكر لمشاهد القصة مفصلة، بدءاً بحلقة التكليف بالرسالة، وعرض مشهد السحرة، إلى مصرع فرعون وجنوده.

**2-3-3- في سورة طه:** وردت سورة طه بعد مريم في ترتيب السور، وهذا يشرح لنا مناسبة الوضع، فلما تمت الإشارة إلى قصة موسى إشارة موجزة في سورة مريم، ذكر شرحها وبسطها في طه، فقد ورد فيها من تفصيل المشاهد ما لم يرد في الأعراف ويونس.

لقد سبق التمهيد لقصة موسى التي نصادفها منذ بداية السورة، بمطلع يعكس رحمة الله ورعايته لمن يصطفاهم من خلقه لحمل رسالته ﴿طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى (3) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (4)﴾ فجاءت القصة لهذا السبب تراعي ذلك السياق الذي انبثقت عنه، كونها تضمّنت نماذج من رعاية الله لموسى عليه السلام وتبنيته وتأيينه، ولعلّ هذا ما يبرّر لنا ما نجده فيها من تمهيد موسى عليه السلام منذ طفولته لحمل رسالة التكليف، فهذا هو ذا ربّ العزة يخاطبه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه)، ﴿وَاصْطَلَعْتَ لِنَفْسِي (41)﴾. وبالتنظر إلى مطلع السورة ومضمونها فإنّ ورود قصة موسى مع فرعون فيها كان محوره «حسّ النبي... على الصبر، وتحمل ما يلقاه من إعراض قومه عن دعوته تأسياً بما كان من ثبات موسى وصبره أمام فرعون وملئه»<sup>21</sup>.

تعرض القصة مشاهداً مفصلةً ومطوّلةً، مثل مشهد المناجاة بين موسى وربّه مدعماً باختيار الله له رسولا يوحى إليه ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13)﴾، ومن رحمته به تعالى أن شدّ عضده بأخيه هارون، ثم تذكر القصة مشهداً لم يرد لا في الأعراف ولا يونس إنّه مشهد ولادته عليه السلام في وقت عصيب، وإلقائه في اليمّ ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنْ اقْذِيبِي فِي التَّابُوتِ فَاقْذِيبِي فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39)﴾، وهذا لعمرك ضرب آخر من ضروب رحمة الله بعبده، وهيئته لما هو آت، وما يحتمله من تذكير أنّه لم يرسل إلّا بعد إعداده، وأنّه قد درّب على المشاق وهو طفل رضيع، ثم ما كان من رحمته تعالى به أن ردّه لأمّه، ونجّاه من آل فرعون بعد قتله للقبطي.

بعد ذلك تطيل القصة في عرض مشهد الجدل بين موسى وفرعون، وإن طوت كيفية الوصول إليه، إضافة إلى الإسهاب في عرض مشهد المبارزة بين موسى والسحرة، وقد طوى السياق في هذا المشهد كلّ ما دار من حديث بين فرعون وقومه والسحرة، وما قرّره. وقد كتّى القرآن عن كلّ ذلك بقوله: "فتولّى فرعون فجمع كيداً ثم أتى"، لتختتم القصة بإجمال دون تفصيل حتى يكون وقعها أشدّ في النفس لا يقيده التفصيل.

**2-3-4- في سورة الشعراء:** نزلت بعد سورة الفرقان التي أشار فيها القرآن إلى قصص مجملّة، شرحها وفصلها في

سورة الشعراء، لذلك نراها ربّبت على ابتدأت بقصة موسى. وفي سياق حديثه عن الإعجاز يشير الباقلاني إلى فضل هذه السورة في قوله: «لو عرفت قدر قصة موسى وحدها من سورة الشعراء لما طلبت بيّنة سواها»<sup>22</sup>.

لقد ذكرت القصة في هذه السورة متناسقة مع موضوعها الذي نطالعه منذ مطلعها، في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (3) إِنَّ نَشَأَ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (4) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (5) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (6)﴾، ففي هذا المطلع اتجاه «إلى بيان عاقبة المكذبين بالرسالة، وإلى طمأنة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعزيته عما يلقاه من إعراض المشركين وتكذيبهم، وإلى رعاية الله لدعوته والمؤمنين بها»<sup>23</sup>. فلا غرابة إذن أن ما ذكر من مشاهد القصة ورد متناسقا مع موضوع السورة، والسياق الذي تعرض فيه، للحد الذي يسمح لها بتصوير موضوع السورة.

ولعل من عظيم تصوير القرآن أن نجد ذلك التوافق العجيب بين بداية السورة ونهايتها من عرض لموضوع الرسالة والتكذيب، ثم ما نجده من عرض لمشاهد القصة بما يتوافق وذاك المعنى؛ بحيث نجد طيفا لمشاهد وتوسعا في أخرى؛ فمما تحقّق فيه الإيجاز مشهد النداء والوحي والبعثة، ومشهد المبارزة وانتصار موسى على السحرة، ومشهد إيجاء الله لموسى أن يسري بمن أتبعه ليلا، وإرسال فرعون في المدائن حاشرين يجمعون الجنود لملاحقة موسى وأتباعه.

أما ما تحقّق فيه البسط فمشهد مواجهة موسى لفرعون وملئه بما أيده الله به من معجزتي العصا واليد، ومشهد التآمر وجمع السحرة، ثم ما كان من اطمئناهم على الجزاء إن كانوا هم الغالبون، كما بسط القول في تهديد فرعون للقلة المؤمنة وثباتهم على الإيمان، وما اختتمت به القصة من مشهد المواجهة بين موسى وفرعون في البحر، وكيف كانت عاقبة الكافرين.

**2-3-5- في سورة النمل:** بعدما بسطت مشاهد القصة في سورة الشعراء كما رأينا، ها هي ذي تعقبها سورة النمل، التي تعرض القصة بصورة موجزة جدا، إذ بعد افتتاح السورة بتذكير الله بعاقبة الكافرين وما سيلقاهم من عذاب، وتذكيره عليه السلام أنه ليس بدعا في التكليف برسالة سماوية، مثله مثل موسى عليه السلام، وليس ما تلقاه من ربك بدعا في التكذيب، فقد كذب قبلهم قوم موسى. ولعل هذا ما يبرر لنا إيراد قصة موسى بعد مطلع السورة: ﴿طَس تِلْكَ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (1) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (3) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (4) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ (5) وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (6) إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَتِكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِسَهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7)﴾.

إذا نظرنا إلى الموضوع العام للسورة ألفيناه لا ينفصل عن عقيدة الإيمان بالله، وعبادته وحده، والإيمان بالوحي، وأن الغيب كله لله.... وتأتي القصص لتثبيت هذه المعاني وتصوير عاقبة المؤمنين وعاقبة المكذبين، وما ورد من مشاهد لقصة موسى يتوافق وذلك؛ من حيث عرضها بصورة موجزة، فقد تمت الإشارة إلى مشهد رؤية النار وذهابه إليها، ونداء الله له، وتكليفه بالرسالة، كل ذلك تمت الإشارة إليه بصورة موجزة ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَتِكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِسَهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (8) يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا

مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (10) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (11) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (12) ﴿﴾. يعقب ذلك بتعجيل السياق القرآني خبر تكذيبهم للرسول مع يقينهم بصدقه، وما كان من أمر إهلاكهم ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14)﴾. وهكذا طوى السياق القرآني ذكر معظم مشاهد القصة معجلا بذكر عاقبة المكذبين، مما استدعاها السياق العام للسورة كما سبق ذكره.

**2-3-6- في سورة القصص:** هي سورة يقع ترتيبها بعد سورة النمل. يقول المفسرون عنها أنها «نزلت والمسلمون في مكة قلة مستضعفة، والمشركون هم أصحاب الطول والجاه، نزلت تضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم، نزلت تقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود هي قوة الله، وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون هي قوة الإيمان»<sup>24</sup> ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُم طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5) وَنَمُكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6)﴾. هكذا ترسم السورة المسرح الذي ستجري فيه الأحداث لتسرد قوة الحكم والسلطان، قوة فرعون الطاغية، في مقابل قصة موسى الإيمانية التي وضعت حداً للفساد والطغيان<sup>25</sup>. وكيف أن هذا التمهيد جمع بين بداية القصة ونهايتها.

فبعدهما حكى القرآن في الشعراء قول فرعون لموسى ﴿أَمْ تُرَبِّكُ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19)﴾، وقول موسى لأهله في النمل ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَتِ لَكُمْ مِنْهَا بَخْرٌ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7)﴾ يأتي في القصص بسط ما كان على سبيل الإشارة والإجمال، وفصل القول حسب الترتيب المعهود؛ فقد بدأ في عرض القصة بداية لم ترد في سورة أخرى لأنّ الموضوع يستدعي ذلك ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا حِفَّتْ عَلَيْهِ فَالْتَمِسِي فِي يَمِينٍ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) فَالْتَمِسْتَهُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ (8) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكِ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِنَّ كَادَتْ لِتُبَدِّي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (11) وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (13)﴾، ذلك أن المشهد الأول من قصة موسى، والظروف الصعبة التي ولد فيها، مع ضعف قومه، هو الذي يؤدي هدف السورة الرئيسي، ويميز القدرة الإلهية تضرب الظلم والطغيان وتنصر المستضعفين، لا شك أنه هو المعنى ذاته الذي كانت القلة المسلمة في مكة في حاجة إلى تبيته، وما كانت الكثرة المشركة في حاجة إلى علمه.

فخلافًا للسُّور التي سبقت والتي كانت تستهلّ في الأغلب بمشهد المناجاة والتكليف، تستهل القصة هنا بمشهد مولد موسى وقذفه في اليمّ والتقاط آل فرعون له، ومشهد فتوته، وما كان من نعم قومه عليه بعد قتله للقبطي، وهروبه إلى مدين، وزواجه، ثم ذكر مشهد خروجه من مدين إلى مصر وحادثة وادي طوى، ومواجهته وهارون لفرعون وملئه وتكذيبهم إياه، ومشهد إغراقهم. لذلك كان من النادر ما عرضته هذه السورة من استرسال في عرض القصة في صورة مترابطة الأجزاء، في موضع واحد.

وبالنظر إلى تلك المشاهد فقد أفاض السياق القرآني في عرض المشهد الأول والثاني باعتبارهما جديداً في القصة، في مقابل الإيجاز في عرض مشهد السحرة الذي أفاض السياق القرآني في عرضه في مواضع سابقة لهذه السورة، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ (36) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (37)﴾، والأمر سيان بالنسبة لمشهد الهلاك ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (39) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (40)﴾ «ليصل من التكذيب مباشرة إلى الإهلاك... وهذا الإسراع في هذه الحلقة مقصود، متناسق مع اتجاه القصة في السورة: وهو تدخل يد القدرة بلا ستار من البشر»<sup>26</sup>.

وهكذا نخلص للقول أنه حذف كثير من المشاهد في قصة موسى مع فرعون، في مختلف السور التي تناولناها بالدراسة؛ حيث حذف مشهد طفولة موسى وشبابه في قصر فرعون، إذ لم تذكر القصة الفترة ما بين طفولته وشبابه بل اكتفت بالإشارة إلى التقاط آل فرعون له، ثم إعادته إلى أمه، ثم ذكرته بعدما بلغ أشده واستوى. والحقيقة أنّ حذف مشهد طفولته نراه غائباً في كلّ السور التي ذكرت قصته، وقد لاحظنا أنّ معظم السور التي عرضت قصته كانت تستهلّ مباشرة بمشهد المناجاة والتكليف. كما حذف كذلك مشهد الحوار الذي دار بين المرأتين وأبيهما، إذ اكتفت القصة في سورة القصص مثلاً بذكر سقيا موسى لهما، ثم دعوة أبيهما له. وهو ما لم يذكر في جميع السور التي روت قصته، حتى أنّنا لا نعثر على هذا اللقاء أصلاً في بعض السور على غرار طه والشعراء. يضاف إلى ذلك حذف مشهد لقاء موسى بالسحرة في بعض السور؛ إذ لم يرد في سورة القصص والتّمل، كما لم يذكر مواعده، وكيف انتصر موسى عليهم، وكيف آمن السحرة بالله، وعقاب فرعون لهم، وفي المقابل ذكر هذا المشهد في سورة الأعراف، ويونس، والشعراء، وبأكثر تفصيل في طه.

ومن ضروب الإيجاز كذلك حذف مشهد عقاب الله لقوم فرعون بعد تكذيبهم لموسى، وتضرّعهم له أن يكشف الله عليهم العذاب، وهذا في سورة يونس، وطه، والتّمل، والقصص، وذكر في سورة الأعراف، (الجوع والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم).

وهكذا طغى على القصة العديد من الفجوات دون أن يختلّ بغياها توازن القصة؛ لأنّ المقاصد التي يشتملها السياق هي الموجه الفعلية لأسلوب العرض، والمتحكّم في ترتيب الأحداث، وذكر أو حذف المشاهد؛ فعندما يكون القصد

الإنذار والعقاب يبرز عنصر الأحداث، وعندما يكون القصد إقامة الحجّة يبسط القول في حوار موسى وفرعون، وعندما يكون القصد التذكير بالعقاب يبسط القول في نهاية آل فرعون.

## 2-4- إيجاز الحذف في القصة:

ورد أسلوب الحذف في جميع السور التي عرضنا لها، منها ما تعلّق بحذف الحرف، ومنها ما تعلّق بحذف الكلمة، ومنها ما تعلّق بحذف الجملة. وما دامت النماذج كثيرة ومتنوعة فإننا سنكتفي في هذا الموضوع بذكر نماذج فقط على سبيل التمثيل. فمما نعتز عليه من أمثلة تخصّ حذف الحرف قوله تعالى حكاية عن عصى موسى: ﴿تَلَفُّفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾؛ فقد حذفت تاء الفعل (تلففت) «أي تلتقم التقاما شديدا سريعا جدا بما دلّ عليه حذف التاء»<sup>27</sup>. وما نعتز عليه كذلك في سورة القصص قوله تعالى: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ أين حذفت الهاء في (إنها) الواقعة في محل نصب اسم إنّ لأنّ تقديرها "إنها كادت"<sup>28</sup>. كما نجد كذلك حذف حرف النداء في قوله: ﴿رَبِّ إِيّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ أي قال يا رب. والأمر سيان في قوله: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾؛ حيث حذفت ياء المتكلم في النداء، إذ تقدير الكلام "يا أبتى"<sup>29</sup>.

هذا كما تعددت مواضع حذف الكلمة على اختلاف أنواعها بين اسم وفعل، فمن مواضع حذف الفعل نذكر قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقَى عَصَاكَ﴾ أي أن ألق عصاك فألقاها حذف فعل ألقاها<sup>30</sup>. ومن مواضع حذف الفاعل ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ﴾ فالتقدير و«دخل موسى المدينة على حين غفلة»<sup>31</sup>. ومن مواضع حذف الحال قوله: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ فقد حذفت كلمة مرسلان أي فذانك برهانان من ربك "مرسلان إلى فرعون"<sup>32</sup>. أمّا عن مواضع حذف الجمل فنمثّل لها بقوله: ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ حيث حذفت جملة موصولة تقديرها وما سمعنا "بالذي تدعوننا إليه"<sup>33</sup>. إلى غير ذلك من النماذج الكثيرة التي لا يمكن عرضها جميعا في هذا الموضوع.

## 2-5- إيجاز القصر:

تعددت مواضعه في القصة، كما اختلفت أغراضه، وفيما يلي نشير إلى بعض تلك المواضع على سبيل التمثيل لا الحصر. فمن العبارات التي تضمّنت معنى إيجاز بالقصر ما استهلّت به قصة موسى في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف 103) فقد لحّصت هذه الآية على وجازتها جميع قصصهم على طولها. والأمر سيان في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِيّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف 104) التي تنطوي على تقرير حقيقة فرعون بالنسبة لموسى الذي ناداه باسمه دون ألقاب الملك، كما أنّها تقرّر ربوبية الله تعالى للعالمين، بما يحمل في طياته من عدم الإقرار بملك فرعون.

ومن إيجاز القصر أيضا الآية الكريمة ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ﴾ (الأعراف 133)، فقد جمع السياق الآيات كلّها «كأنّما جاءهم مرّة واحدة، وكأنّما وقع النكث منهم مرّة واحدة، ذلك أنّ التجارب كلّها كانت واحدة»<sup>34</sup>. ثمّ أنّها على وجازتها دالة على أنّه سبحانه وتعالى لم يبق شيئا لهم، ولم يدع شيئا في الأرض من عذاب أفسد الأكل والمشرب جميعا.

ويظهر الإيجاز بالقصر كذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10)﴾ (الشعراء) حيث وصفهم عموماً بالظلم، بعدما فصل فيه في موضع لاحق من سورة القصص ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ...﴾. والأمر لا يختلف عن قوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19)﴾ التي تطوي ما كان من قتل موسى للرجل القبطي.

ومن المواضع الأخرى كذلك ما نعثر عليه في سورة القصص من وصف فرعون، قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ (القصص 4)؛ فقد دلّت على أعمال فرعون السيئة التي قام بها، حيث ابتدأت بحرف التوكيد (إِنَّ) لإثبات خبر تجرّ وطغيان فرعون في الأرض، فهذه العبارة الموجزة الجامعة تضمّنت معنى الطغيان الذي فصل فيه لاحقاً؛ بأنّه ﴿جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّنَّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبُّنَّ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ (القصص 4). ولعلّ من بديع البيان في هذا الموضع ما احتتمت به هذه الآيات من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾، فهذه العبارة رغم قصرها إلا أنّها تحمل دلالات لا حصر لها من الأعمال الفاسدة التي قام بها فرعون.

ومن مواضع الإيجاز بالقصر أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7)﴾ (القصص)؛ فهذه الآية على قصرها جمعت أساليب مختلفة؛ حيث اشتملت على خبرين: (أوحينا إلى أم موسى، فإذا خفت عليه) كما اشتملت على أمرين (أرضعيه وألقيه) ونهيين (لا تخافي ولا تحزني) وبشارتين (إنا رادوه إليك، وجاعلوه من المرسلين). وكذا قوله: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26)﴾ (القصص) دلت الآية على العموم، وما أشار إلى ذلك الألف واللام للجنس في القويّ والأمين، فالقصر يكمن في وصف الاستواء وبنية الكمال لموسى عليه السلام. وقد دلّت الآية الكريمة على المعنى بتركيب لا يزداد عليه؛ فقد جمع خصلتان هما الكفاية والأمانة في موسى عليه السلام ممّا جعله خير من يمكن أن يستأجره الدعاء.

ومن إيجاز القصر كذلك نجد قول موسى لفرعون وملئه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ﴾ (القصص 37)، فهنا تمّ تبيين عظمة الله الذي بعث نبيّه بالهدى وليس ساحراً مفترياً كما يدعون؛ لأنّ الله غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبيئ السّاحرين<sup>35</sup>. وممّا دلّ على الاستحغار قوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿فَأَحْذَنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (40)﴾ (القصص) هو كلام دلّ أيضاً على عظمة الله واستحغاره لقوم فرعون إذ رغم عددهم الكبير إلا أنّه أهلكهم جميعاً.

خاتمة:

تعدّ قصة موسى عليه السلام من أكثر القصص ذكراً في القرآن الكريم، وأكثرها تكراراً، فقد وردت موزعة في عدّة سور، بحسب ما تقتضيه المناسبة، إذ كلّما تكررت هذه الأخيرة أعيد ذكر ما يقتضيه السياق منها، لذلك فقد مسّ التكرار بعض الأجزاء، وقد رأينا كيف أنّ ما تكرّر في موضع لاحق جاء متممًا لما ذكر في موضع سابق.

وبالنظر إلى ذلك فإنّ السياق القرآنيّ لم يكرّر من القصص إلاّ ما كان حافلا بالعظات التي لا يستغني عنها الرّسول عليه السّلام، وما كان أشدّ تجاوبا مع الدّعوة المحمّديّة، خادما لأغراضها، مبرزاً لعقباتها، إذ ما أشبه قصّة موسى بقصّة محمّد عليهما السّلام في الدّعوة إلى الله، فقد لاقا كلاهما أذى من قومهما، وصداً لعقيدة التّوحيد، واضطهاداً لأتباعهما. وعلى العموم تحمل القصّة من الفوائد الدّينيّة والدّنيويّة ما جعلها تحتلّ حيّزا كبيرا في القصص القرآنيّ.

هذا كما قادتنا الدّراسة والتطبيق على السّور المختارة أنّ ورود قصّة موسى مع فرعون في مثل تلك السّور باعتبارها جميعها من السّور المكيّة لم يكن اعتباطا، أو محض صدفة، فقد خلصنا إلى أنّ مضمون القصّة يتوافق تماما مع ما تدعو إليه السّور المكيّة في عمومها من تحديد حقيقة العبودية وتنحية كلّ ما هو دخيل على العقيدة.

وعودة للحديث عن أسلوب الإيجاز فإنّ قصّة موسى رغم طولها إلاّ أنّها كانت حافلة بالإيجاز بنوعيه، إيجاز الحذف الذي تراوح بين حذف الحرف، إلى حذف الكلمة، إلى حذف الجملة. وإيجاز القصر، الذي امتدّ على نطاق واسع في مختلف السّور المستشهد بها، وإن كان الإيجاز بحذف المشاهد بارزا للعيان، إذ من أخصّ طرق القرآن في تكرار قصّة موسى مع فرعون هو إعادة ذكرها في مواضع متفرّقة من القرآن، وعلى امتداد سور عديدة، بين البّسط حيناً والإيجاز حيناً آخر، الذي يصل لحدّ الإشارة بعبارة واحدة، وذلك كلّ في مقام الاستدلال على بلاغة النّظم القرآنيّ، من جهة، وبلاغة ما يريد إبلاغه من جهة ثانية.

وإن تأنّى لنا أن نتحدّث بشكل موجز عن ضرب من ضروب الإعجاز البيانيّ في القصّة القرآنية فإنّنا على يقين تامّ أنّنا ما وقّينا، ولن نفي الموضوع حقّه، في هذا الكتاب المعجز على مرّ العصور والأزمان.

## الهوامش:

- 1- أبو بكر محمد بن الطيّب الباقلائي، إعجاز القرآن، تح: السيّد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، 1963، ص 05.
- 2- أحمد تقي الدين أبو العباس ابن تيمية، الجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح، ج 05، تح: علي بن حسن بن ناصر، عبد العزيز بن إبراهيم العسكري، حمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة، ط 02، السعودية، 1999، ص 428.
- 3- أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2008، ص 137.
- 4- السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، ط 06، بيروت، لبنان، ص 179.
- 5- العسكري، الصناعتين، ص 138.
- 6- سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن، دار الشروق، ط 16، القاهرة، 2001م، ص 143.
- 7- التهامي نقرة، سيكولوجية القصّة القرآنية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، الشركة التّونسيّة للتوزيع، تونس، 1974، ص 115، 116.
- 8- فضل حسن عباس، القصص القرآني، دار الفرقان، ط 01، الأردن، 1987، ص 224، 225.
- 9- صلاح الخالدي، القصص القرآني، ج 2، دار الشامية، بيروت، ط 1، ص 293، 299.
- 10- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشرق، القاهرة، ط 32، 2003، ج 4، ص 2678، 2680.
- 11- المرجع نفسه، مجلد 4، 2693.
- 12- المرجع نفسه، المجلد 03، 1346.

- 13 - المرجع نفسه، المجلد 03، ص 1349.
- 14 - صلاح الخالدي، القصص القرآني، ج 02، ص 403.
- 15 - سيد قطب ، في ظلال القرآن، المجلد 03، ص 1355.
- 16 - الشعراوي محمد متولي، قصص الأنبياء، تح: إبراهيم عبد الستار علي، دار القدس، د ب، ط 1، 2006م، ص 299، 316.
- 17 - برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: محمد عمران الأعظمي، دائرة المعارف العثمانية، 1974، ج 05 ص 17.
- 18 - المرجع نفسه، المجلد 03، ص 1355.
- 19 - جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، ط 01، بيروت، لبنان، 1986، ص 93.
- 20 - المرجع نفسه، المجلد 03، ص 1819.
- 21 - التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، ص 92.
- 22 - الباقلائي، إعجاز القرآن، ص 195.
- 23 - سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد 05، ص 2587، 2588.
- 24 - المرجع نفسه، المجلد 05، ص 2673، 2674.
- 25 - المرجع نفسه، المجلد 05، ص 2674.
- 26 - المرجع نفسه، المجلد 05، ص 2694.
- 27 - جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ج 08، ص 28.
- 28 - أبو عبد الله محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 16، تح: عبد الله بن عبد الحسن التركي ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 2006، ص 240.
- 29 - ابن عاشور الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج 20، دار التونسية، تونس، دط، 1984، ص 105.
- 30 - جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي ، تفسير الجلالين، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 2003، ص 389، 390.
- 31 - الطبري، تفسير الطبري، ج 6، ص 13.
- 32 - جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص 389.
- 33 - الطبري، تفسير الطبري، ص 25.
- 34 - جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ج 09، ص 1358.
- 35 - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 87.